أزمة الغرب وصناعة الكراهية

نشر في جريدة أخبار الخليج بتاريخ 8 نوفمبر 2020 بقلم: الدكتور زكريا خنجي

يلاحظ الناظر إلى الغرب أن الغرب يعيش اليوم – فعلاً – في أزمة حقيقية، فالغرب – بكل ما فيه ومن فيه – يعيش في واد يغاير تمامًا الوادي الذي خرجت منه مبادئ الثورة الصناعية والثورة الفرنسية وثورات التحرر التى مرت بعد عصور الظلام التي كانت تعيش فيها أوروبا كلها، فهذه الثورات ما قامت إلا على مبادئ الحرية والعدل والمساواة وما إلى ذلك من شعارات عظيمة أطلقتها إبان قيامها، وللحقيقة والتاريخ فإن تلك الدول حافظت في بداية إنشائها على نلك المبادئ، إلا أنها عندما بدأت في عصر الاكتشافات والتوسع والتعرف على العالم الخارجي مثل إفريقيا والشرق والقارة الأمريكية سال لعابهم على الذهب والفضة والألماس والثروات والمعادن التي وجدوها في تلك المناطق التي اعتبروها مجهولة وأنه من حقهم استغلالها واستعمارها، ولا نعرف من أعطاهم هذا الحق، ولم يكتفوا بذلك وإنما سخروا الرجال واغتصبوا النساء وقتلوا الأطفال وفعلوا كل الأفاعيل التي ما قامت ثورات التحرر إلا من أجل التخلص منها.

قال المطران برتولومي دي لاس كازاس في كتابم (المسيحية والسيف): «لقد غشى الإسبان هذه الخراف الوديعة غشيان الذئاب والنمور والأسود الوحشية التي لم تجد طعامها أيامًا وأيامًا. ومنذ أربعين سنة وهم يقطعون أوصالها ويقتلونها ويروعونها، ومنذ أربعين سنة وهم يفتكون بها ويعذبونها ويبيدونها، كل يوم فظاعة جديدة غريبة مختلفة لم نسمع ولم نقرأ عن مثلها من قبل»، ثم يواصل في مكان آخر من الكتاب: «وطوال هذه السنوات الأربعين أبيد أكثر من أثنى عشر مليونًا من الرجال والنساء والأطفال ظلمًا وعدوانًا جراء طغيان المسيحيين وأعمالهم الجهنمية. إن الذين ذهبوا إلى هناك من أدعياء المسيحية أبادوا الشعوب الهندية الوادعة ومحوا ذكرها من وجه الأرض، إما بالاجتياحات الدموية المتوحشة وأما باستعباد ممن تبقى استعبادًا فظًا غليظًا شنيعًا لم يشهد مثله البشر ولم تعرفه الدواب. أما من كان يحلم بالحرية أو يفكر فيها أو يحاول الخلاص من عذاباته كما يفعل كل إنسان فمصيره القتل، عدّ من ذلك إلى أنواع منوعة من الجور والطغيان الجهنمي والتخريب».

هذا التناقض بين ما قامت عليه ثورات التحرر وبين ما قام به الإنسان الغربي عندما استعمر جزءًا كبيرًا من العالم وما فعله في شعوب تلك الدول وثرواتها جعله في أزمة حقيقية، فهل يستمر في التفكير وتنفيذ مبادئ الثورة أو يتحرر من كل ذلك ليشعر أنه فوق البشر، وأن الجنس الأبيض هو الجنس الذي من المفروض أن يسود ويُسّخر العالم لأجل مصالحه هو،

وخاصة أنه لا توجد لديه أو بالأحرى لم تقم تلك الثورات ببناء منظومة قيميّة وأخلاقية يمكن أن يتعامل معها وأن يؤمن بها والتي من خلالها يمكن أن يعيش ويتعايش مع العالم والشعوب الأخرى، فهو – إي الإنسان الغربي – يعيش في خواء روحي وقيميّ وأخلاقي، فمن ناحية كانت الكنائس – بجميع أنواعها – تسخره وتستعبده وتحجر عقله حتى لا يفكر ولا يعيش إلا في النطاق الذي يريد رجال الدين الكنسي، ومن ناحية أخرى فإنم عندما تحرر من هذا الإطار الكنسي وجد نفسم أمام مبادئ عامة فضفاضة غير منطقية وليست عملية ولا يمكنه التقيد بها، فهو – إي الإنسان الغربي – لم يعرف ولا يعرف أين يمكنه أن يضع رجله أو يوجه فكره لذلك عاش وما زال يعيش في أزمة حقيقية.

هذا الخواء الفكري والروحي والثقافي جعل الإنسان الغربي يتبنى الفكر المادي العلماني الليبرالي البحت، والذي يقوم على مبدأ (أنا ومن خلفي الدمار)، بمعنى أن – أعيش أنا الإنسان الغربي – بالطول والعرض، ومن حقي أن أنهب وأسرق وأعمل جميع الفواحش من زنا ولواط واغتصاب ومن حقي أن آخذ كل ما تطوله يديّ وخاصة في غفلة القانون الذي – أصلاً – وضعم الإنسان الذي هو أيضًا يسرق وينهب بعيدًا عن أعين القانون البشري الوضعى.

فالقانون الغربي وضعم إنسان غربي، يؤمن بالفكر المادي والليبرالي والعلماني حتى النخاع، وهو – أي واضع القانون – يجد أنه من حقه – أيضًا – أن يأخذ ما تطوله يديه وما يريد من غير حسيب أو رقيب وخاصة أنه يعرف ثغرات القانون وهفواته، لذلك فإن الإنسان الغربي العام البسيط الذي تخلص من رجل الدين الكنسي الذي كان يستبيح لنفسه كل شيء ويمنعه عن عامة الناس يجد نفسه اليوم أمام رجال قانون وساسة يستبيحون لأنفسهم ما يمنعونه عن عامة الناس، فيعيش في تناقض غريب تقوده إلى أزمة ثقة بالدولة وبرجالات الدولة وبالقانون وبالفكر وبالثقافة وبكل شيء

وفي الوقت ذاته فإن الإنسان الغربي اليوم يجد أن الفكر والتوجه المادي لم يؤدي به إلى الرفاهية التي كانت تنادي بها ثورات التحرر والتي كان ينشد، فهو اليوم يعيش أزمة مادية طاحنة، فهو يدفع للبنوك كما كبيرًا من القروض، ويدفع للدولة كما آخر من الضرائب، وهو مكلف أن يدفع من راتبه وأعصابه حتى لجمع اشتراكات في شركات التقاعد، ولا توفر الدولة لم خدمات بأي صورة كانت فلا علاج مجاني ولا تعليم مجاني وحتى شبكة المجاري وإزالة القمامة من أمام منزله يدفع عليه مبلغًا من مال.

هذه المادية جعلت من الشعب الغربي طبقات، طبقة غنية تملك كل شيء وطبقات فقيرة لا تمتلك حتى المنازل التي يمكنها أن تعيش فيها فتكونت فئة من المجتمع التي تعرف (بفاقدي المنازل) وهؤلاء يعيشون في الشوارع، وإن كان جزء صغير منهم تأويهم بعض الجماعات والجمعيات الخيرية، وفئة من الناس لا يجدون ما يأكلون فما يكون منهم

إلا أن يبحثوا في براميل القمامة وخشاش الأرض حتى يسدوا جوعهم، بالإضافة إلى الكثير من المشاكل الاجتماعية التي تنخر في جسد المجتمع الغربي، هذه المشاكل أدت إلى انتشار تعاطي المخدرات والخمور، والجريمة بمختلف أنواعها، حتى غدا الاغتصاب جزءًا من الثقافة الغربية وأصبح للشواذ قانون يحميهم، فأصبح القانون الوضعي البشري قيدًا يقتل الشعوب الغربية ويخلق التناقض في المجتمع، وخاصة أن المجتمع الغربي لم يستطع أن يجد ما يمكن أن تجمع عليه الشعوب الغربية المختلفة الأجناس والأعراق وتوحدهم بعد انهيار المبادئ التي قامت عليها ثورات التحرر، كل هذا أدى إلى أزمة يعيشها الغرب والإنسان الغربي.

هذه الأزمات الفكرية الاجتماعية السياسية والروحية جعلت من الإنسان الغربي يحقد على الشعوب الأخرى عندما وجد أنها تعيش في منظومة فكرية ثقافية وروحية متناسقة متكاملة، فلا يعاني من خواء فكري أو روحي، فهو مستقر وحياته مستقرة وفكره واضح وسوي، كذلك فإنه وجد أن تلك الشعوب من الناحية المادية مرتاحة نوعًا ما، فزاد حقده وتبلد عقله فتطاير الشرر من عينيه، وكان يود أن تطلق يديه على تلك الشعوب ليسرق منها ما يمكن أن يسرقه حتى يعيش هو في بحبوحة من الحياة، ففهم ساسة الغرب هذا الشعور فما كان منهم إلا أن قاموا بتبني هذا الفكر وهذا التوجه، فصنعوا أعداء وهميين وجسدوهم في أشكال واضحة

مجسمة، حتى يصبح العدو حقيقة وواقعًا، فأدار ساسة الغرب السياسة الغربية بمنهجية (الإدارة بالأزمات).

وتقوم الإدارة بالأزمات على مبدأ افتعال الأزمات، وإيجادها من عدم كوسيلة للتغطية والتمويم على المشاكل القائمة التي تواجم الكيان الإداري، فنسيان أزمة ما، يتم فقط عندما تحدث أزمة أكبر وأشد تأثيرًا، بحيث تطغى على الأزمة القائمة، وهكذا يظل الكيان المهترئ يتعرض لأزمة نلو أزمة، ونتعاقب عليه الأزمات متلاحقة حتى يتم تدميره أو السيطرة عليه بالكامل.

وتعرف كذلك بعلم صناعة الأزمة للتحكم والسيطرة على الآخرين، على أن تكون الأزمة المصنوعة المخلقة ذات مواصفات تبدو حقيقية، وحتى تؤتي ثمارها، وأهم مواصفاتها هي الإعداد المبكر، وتهيئة المسرح الأزموي، وتوزيع الأدوار على قوى صنع الأزمة، واختيار التوقيت المناسب لتفجيرها، وإيجاد المبرر والذريعة لهذا التفجير.

عندئذ مُسحت عن ثقافة الغرب ودساتيره فكرة تحاور الحضارات والتعايش مع الشعوب الأخرى، وتم استعاضتها بفكرة تصادم الحضارات واستعباد الشعوب التي لا تقر بسيادة الغرب على الشرق وعلى الكرة الأرضية، وأخيرًا ظهرت للوجود فكرة الفوضى الخلاقة بهدف واحد ووحيد هو سيطرة الغرب على الكرة الأرضية بكل ما فيها ومن عليها، واستملاك ثروات الشعوب وكذلك الشعوب أنفسهم.

فانطلق قادة الغرب بالشعوب الغربية كالخراف لاستعمار العالم واستعبادهم باسم الدين الذي هم أصلاً غير مؤمنين بم، فانطلقت وبدأت الحرب العالمية الأولى والثانية، وحروب فيتنام، وأفغانستان والعراق وكل المنطقة العربية، وهي في كل ذلك تخلق أوهامًا وأعداءً وهميين فتارة أوجدت القاعدة، ثم داعش وحزب الله والعديد من المنظمات والجبهات حتى تحبك الأزمات فيقع فيها الجميع، فينظر الجميع للغرب على اعتبار أنه المنقذ من كل هذه الأزمات على الرغم من أنه هو صانع الأزمات.

تلك الشعوب عندما وصلت الى دول المشرق قامت بما لم يقم به إنسان من قبل، وإليكم بعض الشواهد من العديد من المراجع

عندما اتجم الأوروبيون نحو إفريقيا حولوا (الرق) إلى تجارة مثل (تجارة الماشية)، فقد كانت الحكومات الأوروبية هي التي تحتكر تجارتم، وتضع القواعد المنظمة لهذه التجارة، وكانت أسهم شركات تجارة العبيد هي الأعلى ربحًا، وبعد تحرير تلك التجارة والسماح للشركات الخاصة بالعمل في هذا المجال أصبحت تلك الشركات تصدر كميات مهولة من الأفارقة إلى الدول الأوروبية ومستعمراتها في كل أنحاء العالم، فالشركات الفرنسية لوحدها كانت ترسل ما لا يقل عن المئة ألف إفريقي سنويًا إلى المناطق التابعة لفرنسا في أمريكا، أضف إلى ذلك الشركات الإسبانية والإنجليزية والتجار الإيطاليين والألمان والبرتغال وغيرهم.

أما في آسيا فقد فعلوا شيئًا عجيبًا فقد كانت الحكومات الأوروبية تتاجر في المخدرات، فقد صدرت بريطانيا أول شحنة من المخدرات إلى الصين في العام 1781. وبعد أن بدأت مشاكل الإدمان تظهر على الشعب الصيني أصدر إمبراطور الصين أول مرسوم بتحريم استيراد المخدرات، فأرسلت بريطانيا وفرنسا سفنهما وجنودهما إلى الصين لإجبارها على فتح أبوابها لتجارة المخدرات بالقوة.

وفي الجزائر وخلال معركة الجزائر سنة 1957 اختفى أكثر من 8000 رجل من سكان العاصمة، بعدما اختُطفوا من منازلهم وتعرّضوا لتعذيب رهيب وقتل بطرق بشعة أبرزها الطريقة التي عرفت (جمبري بيجار)، التي تتمثّل هذه الطريقة في غرس الرجال من أقدامهم داخل قوالب اسمنتية من أرجلهم وتركهم على هذه الحال حتى يجف الاسمنت، وبعدها يـُحملون في طائرات عسكرية ويُرموا في عرض البحر، حيث يموتون غرقًا.

وكذلك تُعتبر قضية جماجم المقاومين الجزائريين، من الشواهد الحيّة على جريمة ارتكبتها فرنسا خلال فترة استعمارها للبلاد. وظهرت هذه القضية سنة 2011، وأثارت جدلاً كبيرًا في الجزائر وفرنسا، خاصة بعدما اتضح أن الجماجم تعود لبعض كبار قادة المقاومة، وضعتها فرنسا في علب كرتونية في (متحف الإنسان) بباريس. وتعود الجماجم لأسماء كبيرة في المقاومة الشعبية الجزائرية بينهم الشريف بوبغلة، حيث وصلت إلى

متحف باريس على شكل هدية بين سنوات 1880 و1881. وقد جرى تحنيطها وحفظها بمادة مسحوق الفحم.

وفي التاريخ المعاصر شهدنا مجازر البوسنة التي قتل فيها نحو 300 ألف مسلم واغتصبت فيها نحو 60 ألف امرأة وطفلة مسلمة، وهجّر نحو مليون ونصف مسلم، واستمرت المجازر لنحو 4 سنوات هدم الصرب فيها أكثر من 800 مسجد بعضها يعود بناؤه إلى القرن السادس عشر، وأحرقوا مكتبة سراييفو التاريخية، ووضع الصرب آلاف المسلمين في معسكرات اعتقال، وعذبوهم وجوعوهم حتى أصبحوا هياكل عظمية.

ولعل أبشع ما حدث كان هو مجزرة (سربرنتيشا) الشهيرة التي حاصرها الصرب لمدة سنتين ولما لم يستطيعوا أن يدخلوها على الرغم من تجويعها طلبوا من أهلها تسليم أسلحتهم مقابل الأمان، وبعد أن سلموا أسلحتهم انقضوا عليهم وعزلوا الذكور عن الإناث، وجمعوا 12.000 من الذكور (صبيانًا ورجالاً) فذبحوهم جميعًا طعنًا بالسكاكين، ومثلوا بهم أبشع تمثيل، وذلك في مرأى من القوات الهولندية المسؤولة عن حماية المدينة.

ومن الجرائم البشعة التي قام بها رجالات الغرب ما حدث في العراق من تعذيب بشع قامت بم القوات الأمريكية، ومما يجدر ذكره هنا أن هذا الجيش مكون من 80٪ من الأمريكان في الأصل هم إنجليز وإيرلنديون وألمان، فقد تفجرت الفضيحة في العام 2004 فقد قاموا بعمليات قتل

واغتصاب وانتهاكات رهيبة في سجن أبو غريب، حيث تمت عمليات اغتصاب منظمة للنساء، وهتك لأعراض الرجال، إضافة إلى استخدام الكهرباء والكلاب وكافة وسائل التعذيب، فقد مارس الجنود الأمريكيون 13 طريقة في تعذيب السجناء العراقيين تبدأ من الصفع على الوجم والضرب، وتتهي بالاعتداء الجنسي، واللواط، وترك السجناء والسجينات عرايا لعدة أيام، وإجبار المعتقلين العرايا من الرجال على ارتداء ملابس داخلية نسائية، والضغط على السجناء لإجبارهم على ممارسة أفعال جنسية شاذة وتصويرها بالفيديو، كما كانوا يجبرون السجناء العرايا على التكدس فوق بعضهم البعض.

كل هذا غيض من فيض، ولكن من الإنصاف أن نذكر أن هناك العديد من علماء الغرب – من ذكور وإناث – وقفوا ضد تلك الهيمنة الغربية والمادية الجشعة وأصدروا في حق الشعوب الأخرى العديد من الكتب والمؤلفات، وكشفوا زيف الفكر الغربي والثقافة الغربية ورغبتها في التسلط على الشعوب بمختلف أنواعها، هؤلاء العلماء صاحوا وتصايحوا وأوضحوا أن أزمة الغرب المستمرة، وهذا الحقد وهذه الكراهية للشعوب وهذا التسلط وهذه الفوقية سوف تكون سببًا في إشعال شعلة وبذور لصنع الكراهية بين الشعوب، وعلى الغرب أن يفهم ذلك، إلا أن صوت الساسة وتغلغل الأزمة وتعمقها وتغولها بين شعوب الغرب جعلهم لا يفهمون هذا الكلام ولا يصدقونه، أو بالأحرى فإنهم لا يريدون أن يفهموا لأنهم يعتقدون

أنهم هم السادة وأن جميع الشعوب عبيد، فالعبيد يجب أن يخضعوا للسادة، وخاصة في استمرار وجود العدو الوهمي، فالساسة يريدون أن تستمر الأزمة وشعوب الغرب يعيشون في وهم الجنس الأبيض المتفوق على العالم، لذلك يريد السيطرة على الشعوب، وهذا ما يصنع الكراهية، وإن كنا لا نؤيد التطرف والإرهاب، إلا أن هذا ما يحدث.